# عنوان المداخلة: الذوق الجمالي الأندلسي وانعكاساته على متصوفة الغرب الإسلامي

## -أبو مدين الغوث أنموذجا-

**Title of the intervention: Andalusian aesthetic taste and its reflections on the Sufis of the Islamic West**

**-Abu Madyan al-Ghauth as a model-**

**عمر بغدادي**

**دكتوراة في العقيدة-جامعة الأمير عبد القادر-**

**إمام ممتاز بمديرية الشؤون الدينة ميلة**

**أستاذ متعاقد بجامعة عبد الحفيظ بوالصوف –ميلة-**

**ملتقى وطني بعنوان: "القيم الجمالية للنص التربوي في الفكر الإسلامي-الغرب الإسلامي أنموذجا-"**

**بتاريخ: 2024/11/05م.**

**تنظيم: كلية أصول الدين مع مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان-جامعة الأمير عبد القادر-**

omarbagh0785@yahoo.com

**الملخص:** تعتبر حاضرة الأندلس من أرقى وأجمل ما أنتجته الحضارة الإسلامية، وقد مثلت الإسلام بجميع جوانبه الفكرية والاجتماعية والعمرانية وحتى الجمالية، فأصبحت بذلك مركز إشعاع حضاري ليس للمسلمين فحسب بل تخطت ذلك لتشمل كل الأديان والطوائف.

وعلى غرار كل المفكرين والعلماء والأدباء والمتصوفة الذين جعلوا الأندلس قبلة يتجهون إليها لنهل مختلف العلوم والمعارف، كان علماء الغرب الإسلامي من أوائل المتأثرين بهذه الحضارة وذلك لقربهم الجغرافي والاجتماعي، حيث طغت النزعة الأندلسية على تراثهم في مختلف مجالاته بما في ذلك التصوف والسلوك.

وإذا نظرنا في متصوفة الغرب الإسلامي نجدهم يتمايزون عن متصوفة المشرق بخصائص تعكس احتكاكهم بهذه الحضارة، إذ كانوا يتمتعون بالذوق الجمالي الذي برز عندهم في ميادين الفكر والتربية، هذا الذوق الذي بعث الروح في تراثهم فكان له جاذبية وتأثير في العامة فضلا عن الخاصة من المريدين، فمن خلال هذه الورقة البحثية التي نسلط فيها الضوء على العلامة أبي مدين الغوث، كونه من الشخصيات المؤثرة في الغرب الإسلامي والمتأثرة بحضارة الأندلس، وذلك من خلال إبراز

الذوق الجمالي في تراثه الفكري والصوفي التربوي على وجه الخصوص، مما يمثل نموذجا من انعكاسات هذه الحضارة على متصوفة الغرب الإسلامي، وقد عنون هذا البحث ب **"الذوق الجمالي الأندلسي وانعكاساته على متصوفة الغرب الإسلامي-أبو مدين الغوث أنموذجا-".**

**الكلمات المفتاحية: التصوف، الأندلس، الجمال، أبو مدين الغوث**

**Abstract:** The capital of Andalusia is considered one of the most

refined and beautiful products of Islamic civilization, and it represented Islam in all its intellectual, social, urban and even aesthetic aspects, thus becoming a center of civilizational radiation not only for Muslims but also went beyond that to include all religions and sects.

Like all thinkers, scientists, writers and Sufis who made Andalusia a destination to which they turned to acquire various sciences and knowledge, the scholars of the Islamic West were among the first to be influenced by this civilization due to their geographical and social proximity, as the Andalusian tendency dominated their heritage in its various fields, including Sufism and behavior.

If we look at the Sufis of the Islamic West, we find that they are distinguished from the Sufis of the East by characteristics that reflect their contact with this civilization, as they enjoyed the aesthetic taste that emerged in them in the fields of thought and education, this taste that breathed life into their heritage and had an attraction and influence on the general public as well as the elite of disciples. Through this research paper, in which we shed light on the scholar Abu Madyan al-Ghauth, as he is one of the influential figures in the Islamic West and influenced by the civilization of Andalusia, by highlighting the aesthetic taste in his intellectual and Sufi educational heritage in particular, which represents a model of the reflections of this civilization on the Sufis of the Islamic West. This research is entitled "Andalusian aesthetic taste and its reflections on the Sufis of the Islamic West - Abu Madyan al-Ghauth as a model."

**Keywords: Sufism, Andalusia, Beauty, Abu Madyan al-Ghauth**

## مقدمة

تعتبر حاضرة الأندلس من أرقى وأجمل ما أنتجته الحضارة الإسلامية، وقد مثلت الإسلام بجميع جوانبه الفكرية والاجتماعية والعمرانية وحتى الجمالية، فأصبحت بذلك مركز إشعاع حضاري ليس للمسلمين فحسب بل تخطت ذلك لتشمل كل الأديان والطوائف.

وعلى غرار كل العلماء والأدباء والمتصوفة الذين جعلوا الأندلس منارة للتزود من مختلف العلوم والمعارف، فقد كان علماء الغرب الإسلامي -على وجه التحديد المغرب الأوسط- من أوائل المتأثرين بهذه الحضارة وذلك لقربهم الجغرافي والاجتماعي منها، حيث طغت النزعة الأندلسية على تراثهم في مختلف مجالاته بما في ذلك التصوف والسلوك.

وإذا نظرنا في متصوفة الغرب الإسلامي نجدهم يتمايزون عن متصوفة المشرق بخصائص تعكس احتكاكهم بهذه الحضارة، فكانوا يتمتعون بالذوق الجمالي بفعل الإسلام أولا ثم احتكاكهم بالحضارة الأندلسية ثانيا، هذا الذوق الذي بعث الروح في تراثهم الفكري والتربوي فكان له جاذبية وتأثير في العامة فضلا عن الخاصة من المريدين.

وعليه فمن خلال هذه الورقة البحثية التي نسلط فيها الضوء على العلامة أبي مدين الغوث، كونه من الشخصيات المؤثرة في الغرب الإسلامي والمتأثرة بحضارة الأندلس، وذلك من خلال إبراز الذوق الجمالي في تراثه الفكري والصوفي التربوي على وجه الخصوص، مما يمثل نموذجا من انعكاسات هذه الحضارة على متصوفة الغرب الإسلامي، وقد عنون هذا البحث ب **"الذوق الجمالي الأندلسي وانعكاساته على متصوفة الغرب الإسلامي-أبو مدين الغوث أنموذجا-".**

وقد قسمت البحث إلى ثلاث محاور رئيسية:

المحور الأول: خصص للحديث عن حياة أبي مدين الغوث من خلال تسليط الضوء على أبرز المحطات في سيرته الذاتية، لاسيما فيما تعلق بنشأته الأندلسية المغاربية.

المحور الثاني: يتعلق بمظاهر الجمال في الحضارة الأندلسية ومدى تأثيرها على حواضر المغرب الإسلامي.

المحور الثالث: وفيه التركيز على شخصية أبي مدين الغوث من خلال إبراز ملامح الذوق الجمالي وأثرها على العملية التربوية.

**المبحث الأول: نبذة عن حياة الشيخ أبي مدين الغوث**

**المطلب الأول: نشأته**
**الفرع الأول: مولده ونسبه**

تضاربت الروايات حول سنة مولده بين من يقول سنة مائة وخمسة وآخرون جعلوها سنة خمسمائة وأربعة عشر، واتفق أغلبهم على سنة وفاته خمسمائة وثلاثة وتسعين للهجرة، وقد ولد بالأندلس فكان يلقب بالأندلسي بداية[1].
أما نسبه فهو أبو مدين التلمساني شعيب بن حسين الأندلسي الزاهد شيخ أهل المغرب جال وساح، واستوطن بجاية مدة، ثم تلمسان[2].

**الفرع الثاني: نشأته**

ذكر الذهبي أن أبا مدين كَانَ مِنْ أَهْلِ حِصنِ مَنتُوجَبْ، مِنْ عَمل إِشْبِيْلِيَة، بالأندلس، جَال، وَسَاح، وَاسْتَوْطَنَ بِجَايَة مُدَّة، ثُمَّ تِلِمْسَان. جال في رحلته لطلب العلم، في المغرب وزار سبتة وطنجة بالشمال، واشتغل مع الصيادين ثم انتقل إلى مراكش بالجنوب وانخرط في سلك الجندية وفيها عرض أمره وغايته على من رآه نصوحًا فقال له: عليك بفاس، وفاس مدينة في بلاد المغرب.[3]

وحسب ما ذكره أبو مدين فإنه سار إليها (أي إلى مدينة فاس) ولازم جامعها وفيها تعلم أحكام الوضوء والصلاة ثم جالس العلماء فتردد عليهم مجلسًا بعد مجلس.

ثم توجه الشيخ أبو مدين للشرق، وأنوار الولاية عليه ظاهرة، فأخذ عن العلماء واستفاد من الزهاد والأولياء، وتعرف في عرفة بالشيخ عبد القادر الجيلاني فقرأ عليه في الحرم الشريف كثيرا من الحديث وألبسه خرقة الصوفية.

وبعد زيارته المباركة للمشرق، عاد واستوطن مُدَّة في شرق الجزائر في مدينة بجاية. وكان يقول عنها:" إنها معينة على طلب الحلال". ولم يزل بها يزداد حاله على مر الليالي رفعة، ترد عليه الوفود وذوو الحاجات من الآفاق.[4]

وفيها تزوج، وأنجب ولدًا. قال الشعراني في الطبقات الكبرى: "وولده مدين هو المدفون بمصر بجامع الشيخ عبد القادر الدشطوطي، ببركة القرع، خارج السور، مما يلي شرقي مصر، عليه قبة عظيمة، وقبره يزار"[5].

وكانت رحلته إلى الشرق مثمرة فأخذ عن العلماء واستفاد من الزهاد والأولياء وتعرف في عرفة بالقطب الرباني أبي صالح الشيخ عبد القادر الكيلاني: المتوفى سنة (560 هـ)، ببغداد

---

[1] سراج الدين ابن الملقن، طبقات الأولياء، مكتبة الخانجي، المغرب، 1905، ج5، ص437
[2] المصدر نفسه، ج5، ص438
[3] شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، ط1، بيروت، 2004م، ج6، ص1989
[4] يوسف بن يحيى التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس البستي، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1997م، ص319
[5] عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م، ج1، ص156

فقرأ عليه بالحرم الشريف كثيراً من الحديث وألبسه الخرقة وأودعه كثيراً من أسراره وحلاه بملابس أنواره ثم رجع إلى بجاية واشتهر بها أمره وقصد بالزيارة من جميع الأقطار[1]

**الفرع الثالث: شيوخه وتلاميذه**

أما شيوخه فقد أخذ عن شيوخ ولازمهم، ومال عن آخرين، وممن لازم وأخذ عنهم، الشيخ أَبُو يَعْزَى يلنور المتوفى سنة (572هـ)، والشيخ أبو الحسن علي بن حِرْزِهِم، بكسر الحاء المهملة وسكون الراء وبعدها زاي، المشهور بابن حرازم رضي الله عنه (ت سنة 559 هـ). وقرأ عليه "الرعاية للمحاسبي [2]

ومن الشيوخ كذلك الذين أخذ عنهم، الشيخ أبو الحسن بن غالب، فقيه فاس؛ أخذ عنه كتاب السنن للترمذي، والشيخ أبو عبد الله الدقاق أخذ عنه التصوف والسلوك.

أما تلاميذه فقد ذكر بعضهم اليافعي في"مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان": فذكر أنه تخرج به جماعة من أكابر المشايخ الأصفياء، مثل الشيخ أبي محمد عبد الرحيم القنادي، والشيخ أبي عبد الله القرشي، والشيخ أبي محمد عبد الله الفارسي، والشيخ أبي محمد صاحب الدكالي، والشيخ أبي غانم سالم، والشيخ أبي علي واضح، والشيخ أبي الصبر أيوب المكناسي، والشيخ أبي محمد عبد الواحد، والشيخ أبي الربيع المظفري، والشيخ أبي زيدين هبة الله وغيرهم من العلماء[3].

**من مصنفاته**: "أنس الوحيد ونزهة المريد في علم التوحيد والحكم" وله أيضا: (مفاتيح الغيب، لإزالة الريب، وستر العيب - خ) 92 ورقة، في شستربتي (الرقم 3259) .

**الفرع الرابع: وفاته، مناقبه وأشهر أقواله**

**مناقبه:** قال التادلي: «كان مبسوطًا بالعلم مقبوضًا بالمراقبة كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى حتى ختم له بذلك»[4] ـ

وقال أبو الصبر كبير مشايخ وقته: كان أبو مدين زاهدًا فاضلا عارفًا بالله تعالى خاض بحار الأحوال ونال أسرار المعارف خصوصًا مقام التوكل لا يشق غباره ولا تجهل آثاره[5].

---

[1] يوسف بن يحيى التادلي، المصدر السابق، ص320

[2] شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج6، ص1990

[3] عبد الله بن أسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج3، ص121

[4] يوسف بن يحيى التادلي، المصدر السابق، ص321

[5] المصدر نفسه، ص322

وأجمعت المشايخ على تعظيمه وإجلاله وتأدبوا بين يديه وكان ظريفا جميلا متواضعا زاهدا ورعا محققا مشتملا على كرم الأخلاق رضي الله عنه.[1]

**أشهر أقواله:** كان أبو مدين يقول: "كرامات الأولياء نتائج معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وطريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزى بسنده عن الجنيد عن سري السقطي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم"[2] ـ

وقال: "من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه، ومن خدم الصالحين ارتفع، ومن حرمه الله تعالى احترامهم، ابتلاه الله بالمقت من خلقه[3].

**وفاته:** ولما اشتهر الشيخ أبو مدين، وكثر رواده وطلبته، وشى به بعض الحاقدين عند يعقوب المنصور، وقالوا:" إنا نخاف منه على دولتكم، وأتباعه كثيرون في كل بلد"، فبعث إليه السلطان ليختبره، وكتب لصاحب بجاية بالوصية والاعتناء بحمله، فشق ذلك على أصحاب الشيخ، حتى قال لهم:" إن منيتي قربت، فبعث الله من يحملني إليه برفق، وأنا لا أرى السلطان ولا يراني"[4].

فارتحل به موكب السلطان إلى أن وصل مدينة العبَّاد بتِلِمْسَان، غرب الجزائر، فقال لأصحابه: " ما أصلحه للرُّقَادِ"، ومرض مرض موته، فتوفى هناك سنة أربع وتسعين وخمسمائة594هـ.[5]

## المبحث الثاني: مظاهر الجمال في الحضارة الأندلسية

### المطلب الأول: الناحية العمرانية وطبيعة المجتمع

#### الفرع الأول: جمال الطبيعة والعمران الأندلسي

إن كل من زار حاضرة الأندلس وجال في مدنها ومناطقها تأثر بطبيعتها الخلابة وموقعها الجغرافي وعمرانها الذي يدل على الذوق الجمالي الذي يتحلى به أهلها، وقد صنفت الكتب والمجلدات في وصف هذه الحضارة نثرا وشعرا، فلا يزال المسلمون إلى اليوم يتحسرون على فقدانها.

ذكر المقري التلمساني في كتابه البديع **"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"** عن حاضرة الأندلس أنها: «جزيرة قد أحدقت بها البحار، فأكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جهة، فمتى سافرت من مدينة إلى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع، والصحاري

---

[1] عبد الوهاب الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص156

[2] يوسف بن يحيى التادلي، المصدر السابق، ص324

[3] المصدر نفسه، ص324

[4] المصدر نفسه، ص328

[5] محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص150-151

فيها معدومة، ومما اختصت به أن قراها في نهاية الجمال لتصنع أهلها في أوضاعها وتبييضها، لئلا تنبو العيون عنها»[1].

ثم فيها جهات تقرب فيها المدينة العظيمة الممصرة من مثلها، فكثرت مدنها وأكثرها مسور من أجل الاستعداد للعدو، فحصل لها بذلك التشييد والتزيين[2].

**الفرع الثاني: الذوق الجمالي للمجتمع الأندلسي**

يبدو أن المجتمع الأندلسي كان له أثر في إنشاء حضارته وتطويرها، وعلى ضوئها أصبح مجتمعا راقيا صاحب ذوق جمالي في مختلف مناحي الحياة كاللباس وطريقة العيش والنظافة وغيرها، وعلى هذا كانت المجتمعات المحاذية له منها المغاربية متأثرة به إلى حد بعيد.

فمن ناحية اللباس: فإن الغالب على أهل الأندلس ترك العمائم لاسيما في شرق الأندلس، وكان يرى ذلك على ملوكهم ووجهائهم وحتى علماءهم، وكان الأندلسيون يمشون بالطيلسان، خاصة عند الأشياخ المعظمين، وغفائر الصوف كثيرا ما يلبسونها حمرا وخضرا، والصفر مخصوصة باليهود، ولا سبيل إلى يهودي أن يتعمم البتة، والذؤابة لا يرخيها إلا العالم، ولا يصرفونها بين الأكتاف، وإنما يسدلونها من تحت الأذن اليسرى، وهي مخالفة لما عليه أهل المشرق[3].

نجد مما تتقدم أن المجتمع الأندلسي منظم في طريقة لباسه مراعيا في ذلك الذوق الجمالي، فانسجم مع مختلف أصناف الناس من علماء ووجهاء وغيرهم، وهذا يدل على تمكنهم الحضاري.

وأما طريقة العيش: فقد عرف المجتمع الأندلسي بأنه أكثر المجتمعات آنذاك حرصا على نظافة بيئته ومحيطه، فهم أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بوسائل الحياة، وحرصهم عل النظافة أشد من حرصهم على الطعام والشراب، كما كانوا في المعاش أهل احتياط وتدبير وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال[4].

**المطلب الثاني: اهتمام أهل الأندلس بمختلف العلوم والمعارف**

---

[1] أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، تحقيق: إحسان عباس، ط1، 1968م، ج1، ص205

[2] المصدر نفسه، ج1، ص206

[3] المصدر نفسه، ج1، ص223

[4] أحمد المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، 224

كانت قواعد الأندلس وحواضره مركزا للعلم والمعرفة، فقرطبة وإشبيلة والمرية وطليطلة وبطليوس وبلنسية وغيرها عاشت عواصم ثقافية، ضمت العلماء والمعاهد، كما كانت هي وعموم مدن الأندلس مليئة بالمكتبات الخاصة والعامة[1]

كان أهل الأندلس أحرص الناس على التميز، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد بأن يتميز بصنعته، ويربأ بنفسه أن يرى فارغا عالة على الناس، والعالم عندهم معظم من العامة والخاصة، يشار إليه ويحال عليه، وقد عرف أهل الأندلس بتعليم العلم في المساجد بأجرة[2].

أما من جهة العلوم التي برع فيها أهل الأندلس فإن كل العلوم لهم فيها حظ واعتناء، فقراءة القرآن عندهم بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة، وللفقه رونق ووجاهة، ولا مذهب لهم إلا مذهب مالك، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب، وعلم الأصول عندهم متوسط الحال، والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة، وقد شبه عصرهم بعصر الخليل وسبويه، كما اشتغلوا بعلم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر، ومستطرفات الحكايات أنبل علم عندهم، والشعر عندهم له حظ عظيم، فكان ملوكهم يقربونهم ويجعلون لهم مكانة ووجاهة، كما اشتغل خواصهم بالفلسفة وسائر العلوم العقلية[3].

وعلى هذا امتاز غالب علماء الأندلس بالموسوعية والجمع بين مختلف العلوم والمعارف، على غرار ابن حزم الأندلسي، وأبي عبيد البكري وغيرهم.

## المبحث الثالث: تجليات الذوق الجمالي الأندلسي في الفكر التربوي لأبي مدين الغوث التلمساني

### المطلب الأول: خصائص التصوف الأندلسي وأثره على متصوفة الغرب الإسلامي

#### الفرع الأول: الجانب العملي

إن المتأمل في سير أعلام التصوف الأندلسي ومنهجهم في السلوك يجد تباينا بينهم وبين متصوفة المشرق العربي، ويكمن هذا التميز عندهم في مختلف الجوانب بدءا بالجانب العملي وطريقة العيش قال أحمد المقري التلمساني وهو يصف منهج القوم: "وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدروزة التي تكسل عن الكد وتحوج الوجوه للطلب في الأسواق فمستهجنة عندهم إلى نهاية، وإذ رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه، فضلا عن أن يتصدقوا عليه، فلا تجد بالأندلس سائلا إلا أن يكون صاحب عذر"[4]. وهو بذلك

---

[1] عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، دمشق، 1981م، ج5، ص415

[2] أحمد المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص220

[3] المصدر نفسه، ج1، ص221

[4] أحمد المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص220

يستهجن طريقة متصوفة المشرق التي كانت تحملهم على سؤال الناس من غير حاجة، فيظهر بذلك أن متصوفة الأندلس كانوا في غاية من التعفف والتحفظ عن السؤال، وهذا يعود لتأثرهم بطريقة عيشهم داخل حاضرة الأندلس وقد أكسبهم هذا مهابة واحتراما عند سكان الأندلس.

وكان لمتصوفة الأندلس دور كبير في مختلف مناحي الحياة، سواء ما تعلق بالجانب الديني أو الثقافي أو الاجتماعي، وأولوا عناية خاصة للجانبين التربوي والتعليمي بالإضافة إلى اسهاماتهم في أعمال الخير والبر داخل المجتمع[1].

ولا يختلف اثنان على إسهامات متصوفة الأندلس ومن حولها في قضايا المجتمع الكبرى كالدفاع عن الوطن، حيث كانوا حصنا منيعا ضد الحملات التنصيرية التي كانت تطال الأندلس، فكان الكثير من متصوفة الأندلس والغرب الإسلامي يرابطون في المحارس والحصون، يحرصون المسلمين من الغارات المفاجئة التي يشنها أعداء الإسلام على الساحل الغربي[2].

**الفرع الثاني: الجانب التنظيري**

عرفنا فيما سبق أن الأندلس اشتهرت بطابعها الحضاري الذي أكسبها مكانة عالمية آنذاك، فصار العلماء في مختلف العلوم يحجون إليها طلبا للعلم والتعلم، وهذا بدوره أثر في متصوفة الأندلس الذين عرفوا بغزارة العلم وتبحرهم في مختلف مجالاته وفنونه، فبالكاد تجد علما من أعلامهم إلا وله كتب ومصنفات كثيرة، وهذا ما ميز التصوف الأندلسي والمغاربي عامة عن التصوف المشرقي.

ومن أشهر من عرف من متصوفة الأندلس بكثرة التصنيف، أبو عبد الله الشاطبي(585/672ه) الملقب بشيخ الصالحين، كانت له العديد من المصنفات في مختلف العلوم منها: "كتاب الحرفة في لبس الخرقة"، وابن سبعين المرسي(614/969) الملقب بتقي الدين كان صوفيا شهيرا وفيلسوفا معروفا بالأندلس والمغرب كما اشتهر بالمشرق، له العديد من المصنفات أشهرها كتاب "بدأ العرف"، وأبو العباس المرسي(711/1369) الذي ترك الكثير من المصنفات، وكذلك ابن عباد الرندي ( 733/1399) اشتهر برسائله الصوفية الكثيرة[3]. وغيرهم كثير ما يدل على تفاعل متصوفة الأندلس والمغرب مع الرقي الحضاري في بلاد الأندلس وما جاورها.

**المطلب الثاني: الجوانب الجمالية في الفكر التربوي عند أبي مدين شعيب**

---

[1] عبد القادر بوحسون، التصوف الإسلامي ببلاد الأندلس واقعه وأعلامه-عصر بني الأحمر أنموذجا، مجلة متون، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة، مجاد12، العدد: 02، السنة: 2020م، ص155

[2] محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992م، ص73

[3] عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص155-156

يعد الشيخ أبي مدين الغوث من أعلام التصوف الذين قادوا قاطرة العلم والتربية في بلاد الغرب الإسلامي، وكان ذلك طوال مسيرة حياته حيث ساهم في تكوين الكثير من المريدين والمربين الذين انتشروا في مختلف مناطق الغرب الإسلامي، وهذا لا شك يعود إلى قوة التأثير التي كان يمتلكها الشيخ أبي مدين في محيطه ومريديه.

قال ابن قنفذ: «وكان الشيخ رضي الله عنه مشغولا بالتربية والإفادة والتعليم والعبادة والإقبال على الله تعالى في الظاهر والباطن»[1].

**الفرع الأول: الجمالية في التعبير عن حقيقة التوحيد**

لقد أبدع متصوفة الغرب الإسلامي في التعبير عن حقيقة مختلف العلوم بما في ذلك علم التوحيد، وذلك من خلال استخدام أجمل العبارات وأرقاها وأدقها، متأثرين في ذلك بمتصوفة الأندلس وعلمائها الذين أضفوا الطابع الجمالي على تصانيفهم في شتى المجالات، وعلى هذا كان العلامة أبي مدين الغوث.

قال الشيخ أبو مدين: «الحمد لله الذي تنـزه عن الحد والأين والكيف والزمان والمكان، المتكلم بكلام قديم أزلي صفة من صفاته قائم بذاته، لا منفصل عنه ولا عائد إليه ولا يحُل في المحدثات ولا يجانس المخلوقات ولا يوصف بالحروف والأصوات، تنـزَّهت صفات ربنا عن الأرض والسماوات. اللهم إنّا نُوَحِّدُك ولا نَحُدُّك ونؤمن بك ولا نكَيِّفُك ونعبدك ولا نُشَبِّهُك ونعتقد أن من شبهك بخلقك لم يعرف الخالق من المخلوق»[2]

وقال في حقيقة الاستواء: «القُدُّوس على العرش استوى من غير تمكن ولا جلوس»[3].

وفي معرض حديثه عن أسماء الله تعال قال: «أسماء الله تعالى بها تعلق وتخلق وتحقق. فالتعلق الشعور بمعنى الاسم، والتخلق أن يقوم بك معنى الاسم، والتحقق أن تفنى في معنى الاسم»[4].

وهنا ينتقل بنا العلامة أبو مدين الغوث من تلك العبارات الفلسفية الجافة في معنى التوحيد، إلى عبارات تتسم بالجمالية والتأثير على المستمع والقارئ، فجمع بذلك بين مخاطبة العقل من جانب ومخاطبة والروح من جانب آخر، وهذا ينسحب على التراث العقدي الأندلسي عامة.

**الفرع الثاني: الجمالية في التعبير عن حقيقة التصوف**

---

[1] ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م، ص17

[2] ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص16

[3] المصدر نفسه، ص17

[4] المصدر نفسه، ص18.

سبق وأن بينا أن متصوفة الغرب الإسلامي يختلفون عن متصوفة المشرق في بعض الجوانب، وهذا بفعل الاحتكاك الحضاري مع الأندلس، حيث امتزج التصوف عندهم إضافة إلى الزهد والعبادة بطابعه الجمالي، فكانوا يميلون إلى استخدام بعض الفنون في التعبير عن تصوفهم، كما تميز تراثهم الصوفي لا سيما في مجال التصنيف باستعمال أجمل العبارات وأدقها، فاستجلبوا بذلك الكثير من الأتباع والمريدين، وعلى نهجهم سار العلامة أبو مدين فكانت كلماته عن التصوف في غاية من الجودة والجمال فمنها نذكر:

قوله عن مقام الإخلاص: من علامات الإخلاص أن يغيب عنك الحق في مشاهدة الحق[1].

وفي معنى التصوف يقول: بقاء الأبد في فنائك عنك وثمرة التصوف تسليم كلك[2] ومن أراد الصفاء فليلزم الوفاء[3].

وعن الحق يقول: الحق لا يراه أحد إلا مات، ومن لم يمت لم ير الحق[4].

**الفرع الثالث: جمالية الشعر المديني (ديوان أبي مدين الغوث)**

لقد كان الشعر بالنسبة للعلامة أبي مدين ساحة يعبر فيها عن أفكاره وتصوراته، لاسيما في مجال التصوف أين تغنى في ديوانه الشعري بالصوفية والتصوف، فصال وجال بين ذكر المقامات والأحوال والمناجاة فمثل للتصوف أحسن تمثيل، فكان شعره جزء لا يتجزأ من الشعر الأندلسي في طابعه الجمالي، حيث أظهر فيه كل معاني الجمال والجلال، فلا يقرأه ولا يسمعه أحد إلا ترك فيه أثرا بالغا.

فمثلا في حديثه عن الحب الإلهي (جمال المحبة) يقول:

لولاك ما كان ودي* ولا منازل ليلى

ولا حدا قط حاد ولا سرى الركب ميلا

يا حادي العيس مهلا هل جزت في الحي أم لا

عشقتهم فسبوني لا تحسب العشق سهلا[1]

---

[1] أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، المنن الربانية، تحقيق: عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص31

[2] المصدر نفسه، ص31

[3] المصدر نفسه، ص31

[4] أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص 32

وفي موضع آخر يقول:

إني ما ذكرت رب  يهتز شوقي إلى لقاه

طابت حياتي وضاء قلبي  بذكر ربي جل ثناه

ما ذاق طعم الغرام إلا  من عرف الوصل أو دراه

يا فوز قوم بالله فازوا  فلم يروا في الورى سواه

قربهم منه فاجتباهم  فنزهو الفكر في علاه

ليس لهم للسوى التفات  كيف وقد شاهدو سناه[2]

وله في التجرد وإنكار الذات قصيدة يقول فيها:

أستغفر الله من نفسي ومن نفسي  وخاطري وخطور الوهم بالتهم

أستغفر الله من طبعي ومن طمعي  ومن نحول حال حالة السقم

أستغفر الله من قول "أنا" "ومعي"  "ولي" "وعندي" ومن ظني ومن فهمي[3].

يتحدث أبو مدين عن تلمسان وأهلها بأرقى وأجمل العبارات، حيث وظف الطبيعة وجمالها ليستدل بها على كرم ونبل أهل تلك المنطقة، فشبههم تارة بالمطر وتارة أخرى بالأزهار والقمر، وهذا في غاية الحسن والجمال يدل على أن الشيخ يتمتع بذوق جمالي في شعره ونثره.

تحيا بكم كل أرض تنزلون بها  وكأنكم في بقاع الأرض أمطار

وتشتهي العين فيكم منظرا حسنا  كأنكم في عيون الناس أزهار

ونوركم يهتدي الساري لرؤيته  كأنكم في ظلام الليل أقمار

لا أوحش الله ربعا من زيارتكم  يا من لهم في الحشى والقلب تذكار[4]

---

[1] أبو مدين التلمساني، ديوان أبو مدين الغوث، تحقيق: عبد القادر سعود، سليمان القرشي، ط1، دار كتاب ناشرون، بيروت، 2011م، ص

[2] أبو مدين التلمساني، المصدر السابق، ص82

[3] المصدر نفسه، ص34

[4] أبو مدين التلمساني، المصدر السابق، ص19

وله قصيدة جمع فيها من الآداب والأعمال التي يهتدي بها السالك سماها "الجوهرة"، وقد جمع فيها بين حسن العبارة ودقتها وجمالها، فجاءت أبياتها سلسة متناغمة ذات تأثير بالغ على قارئها ومستمعها يقول في مطلعها:

مقصورة سميتها بالجوهرة  صقل لما شان الحجا من الصدا

لا تصحبن من الورى سوى الذي  يهديك من ضلالة إلى الهدى

لا تطمئن للدنيا فإنها  لسم قتول لا يعان بالدوا [1]

متأثرا بطبيعته الخلابة التي نشأ فيها من بلاد الأندلس وما جاورها من فاس ثم بجاية وغيرها من مناطق الغرب الإسلامي، يصور لنا الشاعر قدوم فصل الربيع بأبيات جميلة وبديعة تجعلك تعيش المشهد بكل تفاصيله.

بكت السحاب فأضحكت لبكائها  زهر الرياض وفاضت الأنهار

قد أقبلت شمس النهار بحلة  خضرا وفي أسرارها أسرار

وأتى الربيع بخيله وجنوده  فتمتعت في حسنه الأبحار

والورد نادى بالورود إلى الجنى  فتسابق الأطيار والأشجار[2]

**المبحث الرابع: جماليات التربية عند أبي مدين**

**المطلب الأول: جمال المظهر والهيئة**

من مظاهر الذوق الجمالي التي كان أبي مدين يظهرها في ممارساته التربوية اعتناؤه بمظهره وهيئته، وهو طريقة اتهجها الكثير من علماء ومتصوفة الأندلس، وعلى هذا درج العلامة أبي مدين متأسيا في ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان يدعو إلى النظافة والجمال، وهذا من أسس الإسلام التي بنى عليها.

وقد شهد له بذلك الكثير ممن رآه وعاصره خاصة من تلاميذه ومريديه، فقد ذكر صاحب **"سير أعلام النبلاء"** أن عبد الحق الأزدي الذي كان من كبار علماء بجاية دخل عليه مرة فرأى ما

---

[1] المصدر نفسه، 86- 91

[2] أبو مدين التلمساني، المصدر نفسه، ص20

أيده الله به ظاهرا وباطنا، فكان يجد في نفسه حالة سنية لم يكن يجدها قبل حضور مجلس أبي مدين فقال عن ذلك: هذا وارث الحقيقة[1].

ويقول اليافعي وهو يصف جمال وهيبة العلامة أبي مدين: وأجمعت المشايخ على تعظيمه وإجلاله وتأدبوا بين يديه، وكان ظريفا جميلا متواضعا زاهدا ورعا محققا مشتملا على كرم الأخلاق رضي الله عنه[2].

فقوله: وكان ظريفا جميلا ينمي على أن أبا مدين كان صاحب حب ذوق جمالي في هيئته، وهي طريقة تربوية لجذب المريد، ولفة انتباهه نحو القدوة الحسنة، ليتأسى هو الآخر بشيخه ويهتدي بهديه.

**المطلب الثاني: جمال أسلوبه التربوي**

ويتجلى ذلك بداية في الصفات التربوية التي كان يتمتع بها الشيخ أبي مدين الغوث، ثم الطريقة التي انتهجها الشيخ مع مريديه، وعن ذلك يروي أحدهم فيقول: فكان رحمه الله كثير الأدب، بعيد الغضب، جمع العفة والوقار، وسمة المتقين الأبرار، مقبول القول، معظما في القلوب، لم أرى مجلسا أنفع من مجلسه، وفي أولى اتصالي به، أتيته في منزله، فوجدته وحده، فأدخلني في البيت، فأخرجت كتاب الرسالة للقشيري، فقلت له يا سيدي أريد أن أقرأ عليك هذا الكتاب فقال لي أنت صغير، ويطول عليك الكتاب، لكن اعمل بحديث واحد، وقد حصل لك جمع الكتاب والعمل به، فقلت له: وما ذلك فقال لي: قال النبي صلى الله عليه وسلم: حب الدنيا رأس كل حطيئة، فازهد فيها واتركها تنل كل فضيلة هذا الحديث إذا عملت به كفاك فقمت[3].

وهذا أسلوب جميل في التربية استخدمه الشيخ مع أحد مريديه، وذلك من خلال التدرج مع المريد في طريق التربية وعد تكليفه مالا يطيق، ثم استعمال الحوار الهادئ مع المتعلم وإرشاده بالرفق واللين، وهو ما يدل على حكمة وحنكة المربي.

**المطلب الثالث: جمال خطابه التربوي**

ويظهر ذلك في العبارات والألفاظ التي كان يستخدمها الشي أبو مدين في الخطاب التربوي مع مريده، فكان كلامه يمتاز بدقة العبارة وثقل المعنى وجمالية الإشارة، وهو ما نلمسه في تراثه نثرا وشعرا.

---

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج6، ص1990

[2] اليافعي، المصدر السابق، ج3، ص122

[3] محمد بن عبد الكريم الفاسي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق: محمد الشريف، منشورات كليى الأداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 2002م، ص58

من كلامه عن **الإيمان والتوحيد** يقول الشيخ أبو مدين: «الحمد لله الذي تنـزه عن الحد والأين والكيف والزمان والمكان، المتكلم بكلام قديم أزلي صفة من صفاته قائم بذاته، لا منفصل عنه ولا عائد إليه ولا يحُل في المحدثات ولا يجانس المخلوقات ولا يوصف بالحروف والأصوات، تنـزَّهت صفات ربنا عن الأرض والسماوات. اللهم إنّا نُوَحِّدُك ولا نَحُدُّك ونؤمن بك ولا نكَيِّفُك ونعبدك ولا نُشَبِّهُك ونعتقد أن من شبهك بخلقك لم يعرف الخالق من المخلوق»[1]

وفي **حديثه عن الحقيقة** قال: كل حقيقة لا تمحو أثر العبد ورسومه فليست حقيقة[2].

كما عرف له ديوان شعري جميل يحمل في طياته كل قيم الجمال التربوي التي كانت عند أبي مدين، يقول أبو زهرة: «وكما كان أبو مدين عالما محدثا، فقيها صوفيا، فإنه كان شاعرا وشعره شعر جميل في اللفظ والتركيب، وثري في المعاني، فهو شعر مستكمل النفاسة لفظا ومعنى، والبعض منه يغنى به وينشد في محافل الذكر، وقد عنى ببعضه كبار المفكرين»[3]

نأخذ من شعره بعض الأبيات في الدعاء والمناجاة أين وظف ألفاظ وعبارات راقية تنم عن ذوقه الجمالي يقول:

يا من إليه جميع الخلق يبتهل  وكل حي على رحماه يتكل

يا من علا ويرى ما في القلوب وما  تحت الثرى وجنا الليل منسدل

يا من دنا وتعالى أن يحيط به  أبصار ذي العقل والأوهام والعلل

أنت الكريم أنا للذنب مكتسب  وأنت ملجأ من ضاقت به الحيل[4]

**خاتمة**

يتضح من خلال هذه الورقة البحثية التي عنت بشخصية مهمة في تاريخ الغرب الإسلامي شخصية المربي أبي مدين الغوث التلمساني، صاحبة التأثير سيما في مجال الدعوة والتربية، وانطلاقا من تلك الخصائص المكتسبة من المحيط الأندلسي والمغاربي التي نشأت فيه، وبالنظر في جميع جوانبها العلمية والدينية والأخلاقية والجمالية على وجه الخصوص نستخلص الآتي:

- يعتبر الذوق الجمالي عاملا مهما في تفوق المربي والمريد، وذلك أن الافتقار إلى هذه الخاصية يشكل عائقا يحول دون الوصول إلى المقصد التربوي.

---

[1] ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص16

[2] المصدر نفسه، ص 32

[3] محمود أبو زهرة، أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله، دار المعارف، القاهرة، 1119ه، ص106

[4] المصدر نفسه، ص32

- من خلال الدراسة نجد أن الذوق الجمالي برز في جوانب مختلفة من شخصية أبي مدين الغوث خاصة ما تعلق بالجانب التربوي وما خلفه من تراث نثري وشعري.
- تمايز الشخصيات الأندلسية والمغاربية عموما عن نظيراتها في المشرق، يجعلنا نواصل البحث والعناية بالتراث الأندلسي والمغاربي على وجه العموم.
- تأثير حضارة الأندلس على أبنائها من العلماء والمتصوفة فضلا عن زوارها، يدعونا إلى المزيد من البحث والتأمل في مصادر هذا الجذب والتأثير.
- من أوجه التباين بين تصوف المشرق والمغرب، هو أن هذا الأخير اصطبغ بالصبغة الجمالية التي تجلت في رواده وأعلامه، بفعل الاحتكاك الحضاري بين أهل المغرب الإسلامي والأندلس.

## قائمة المصادر والمراجع

### الكتب


**1-** أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، المنن الربانية، تحقيق: عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.

**2-** أبو مدين الغوث، ديوان أبو مدين الغوث، تحقيق: عبد القادر سعود، سليمان القرشي، ط1، دار كتاب ناشرون، بيروت، 2011م.

**3-** أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، تحقيق: إحسان عباس، ط1، 1968م.

4- ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م.

5- سراج الدين ابن الملقن، طبقات الأولياء، مكتبة الخانجي، المغرب، 1905م.

6- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، ط1، بيروت، 2004م.

7- عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، دمشق، 1981م.

8- عبد الله بن أسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

9- عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م.

10- محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992م.

11- محمد بن عبد الكريم الفاسي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق: محمد الشريف، منشورات كليى الأداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 2002م، ص58
12- محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
13- محمود أبو زهرة، أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله، دار المعارف، القاهرة، 1119ه.
14- يوسف بن يحيى التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس البستي، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1997م.

**الدوريات**

15- عبد القادر بوحسون، التصوف الإسلامي ببلاد الأندلس واقعه وأعلامه-عصر بني الأحمر أنموذجا، مجلة متون، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة، مجاد12، العدد: 02، السنة: 2020م.